الجامعة المستنصرية

كلية الاداب - قسم التاريخ

محاضرة 9

اسم المادة: (السيرة النبوية)

الدراسة: الصباحية والمسائية

ا.د. حنان رضا الكعبي

د. عادل الشرع

الهجرة الى الحبشة:

تعتبر هجرة فريق من المسلمين إلى الحبشة دليلا بارزا على ايمانهم واخلاصهم العميق لدينهم، فعندما رأى الرسول (ﷺ) تعنت قريش واستمرارهم في تعذيب اصحابه اذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ليوفر لهم حمايه ومنجي من الاضطهاد فقال: ((لو خرجتم إلى ارض الحبشة، فان بها ملكا لا يظلم عنده احد، وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه)) لذا غادروا مكة ليلا في غفلة من المشركين نحو ميناء جدة للسفر إلى ارض الحبشة وقد وجدوا سفينتان تجاريتان على هبة الاقلاع فبادر المسلمون إلى ركوبها وكان عددهم مكون من 11 رجلا واربع نسوة، وقد حدث ذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي (ﷺ) وبقوا في الحبشة ثلاثة اشهر إلى ان بلغهم نبا اسلام قريش فعاد منهم قوم وتخلف اخرون، ثم تبين لهم عدم صحة ما سمعوا به، فأمرهم النبي (ﷺ) بالهجرة مرة ثانية وكان عددهم 83 رجلا فخافت قريش امر هذه الهجرة فحاولت استرجاعهم فبعثوا مبعوثين وهم عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي ربيعة لكي يستميلوا القواد بالهداية القيمة لإخراج المسلمين من أرضهم وحاولوا تشويه صورة المسلمين عند ملك الحبشة، الا ان النجاشي الحكيم رفض اجابة مطالبهم دون ان يرجع إلى المسلمين فيرى رايهم، وعندما حضروا أمامه بقيادة جعفر بن ابي طالب وقد فند اقوالهم وافشل خطتهم وقد اثرت كلمات جعفر ابن ابي طالب البليغة تأثيرا عجيبا في نفس النجاشي، ثم رد على وفد قريش هداياهم، فخرجوا من عنده خائبين مقبوحين وظل جعفر واصحابه في الحبشة وعاد إلى المدينة بعد فتح خيبر.

الاسراء والمعراج

بدا النبي (ﷺ) رحلته من بيت ام هاني اخت الامام علي (عليه السلام) إلى بيت المقدس وتفقد بيت لحم مسقط راس السيد المسيح ومنازل الانبياء واثارهم وصلى عند كل محراب ركعتين، ثم بدأ رحلته إلى السماء فشاهد النجوم والكواكب، وتحدث مع ارواح الانبياء والملائكة واطلع على الجنة والنار حتى وصل إلى سدرة المنتهى وهنا قد انتهى برنامج الرحلة فأمر بالعودة من حيث ما اتى فعاد إلى بيت المقدس ثم إلى الكعبة فمر بقافلة تجارية خاصة بقريش وبعيرٌ لهم قد ضل بالبيداء يبحثون عنه، وشرب من مائهم ثم ترجل عن مركبته الفضائية البراق في بيت ام هاني قبل طلوع الفجر، فعلمت قريش بذلك وكذبته وأنكرته على اساس عدم استطاعة النبي (ﷺ) القيام بذلك في ليلة واحدة، فطلبوا منه وصف بيت المقدس فوصفه النبي لهم مع ما شاهده في الطريق وخاصة عير قريش التي اكد لهم بانها الان في موقع التنعيم وعند وصول ابو سفيان ،سئلوه فاخبرهم عن ضياع بعيرهم في الطريق والبحث عنه.

المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين

المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية لبني هاشم:

تشكل مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب حلقة مهمة من حلقات الصراع الذي كان دائرا بين زعماء المشركين في مكة وبين الرسول (ﷺ) وهي تتداخل من حيث أسبابها والظروف التي أحاطت بها بهجرة المسلمين إلى الحبشة بصورة وثيقة.

وقد ترتب على ذلك حصول بعض الاختلاف والتضارب في الروايات التي قدمها كتاب السيرة النبوية الأوائل عن المقاطعة من حيث أسبابها وتوقيتها وانتهائها. لذا فإننا سنحاول عرضها بصورة مبسطة واستنادا إلى أقدم وأدق الروايات التاريخية التي بين أيدينا في هذا المجال، وحسب النقاط الآتية:

1. لقد سعى زعماء المشركين من أجل إقناع أبي طالب في حالة عجزه عن منع الرسول (ﷺ) من مواصلة الدعوة أن يتخلى عنه، ويسمح لقريش أن تقتله، إلا أن أبا طالب وأفراد عشيرته "أنفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه".

2. حين أدرك أبو طالب أن زعماء المشركين قد أجمعوا "مكرهم وأمرهم على أن يقتلوا رسول الله (ﷺ) علانية... جمع بني عبد المطلب، فأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا رسول الله (ﷺ) شعبهم ويمنعوه ممن أراد فاجتمعوا على ذلك كافرهم ومسلمهم، منهم من فعله حمية ومنهم من فعله ايمانا ويقينا".

3. فلما رأى رسول الله (ﷺ) أنه قد أصبح في مأمن من أذى قومه بعد دخوله الشعب وحماية عمه له، بينما لا زال أصحابه يتعرضون لشتى صنوف الأذى والاضطهاد أمر رسول الله (ﷺ) من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وبذلك تكون الهجرة إلى الحبشة التي بدأت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة، قد جاءت بعد دخول الرسول (ﷺ) الشعب أبي طالب مباشرة.

4. يبدو أن مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب لم تبدأ بعد دخول رسول الله (ﷺ) الشعب أبي طالب مباشرة، وإنما استمرت العلاقات بين الطرفين على وضعها السابق إلى أن عاد عمرو بن العاص من الحبشة، وأخبر قريشا بأن المسلمين قد وجدوا لهم موطنا آمنا في الحبشة، وإن مهمته قد فشلت في استعادتهم. عند ذلك كبر الأمر عليهم، وغضبوا على رسول الله (ﷺ) وأصحابه، واجمعوا على قتل رسول الله (ﷺ)، وكتبوا كتابا على بني هاشم ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم..... وصاروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبيء رسول الله (ﷺ).

5. لقد تضمنت المقاطعة كما يتضح من النص المشار إليه آنفا إتفاق جميع العشائر المكية على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب اجتماعيا واقتصاديا حتى يوافقوا على التخلي عن حمايتهم للرسول (ﷺ) ولم يستثن من احكام هذه المقاطعة سوى أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب لأنه ظاهر قريشا على عشيرته وتضامن معهم. وقد روى أن قريشا قامت بتعليق صحيفة المقاطعة "في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم". وقد استمرت المقاطعة لمدة ثلاث سنوات حسب أغلب الروايات. أي أنها لم تنته إلا في حدود السنة العاشرة للبعثة.

يتضح مما تقدم أن شعب أبي طالب كان يمثل أحد الاحياء المكية، ويوجد فيه دار أبي طالب وبقية دور بني عبد المطلب، وإنه حينما اشتد تهديد المشركين للرسول (ﷺ) بالقتل طلب أبو طالب من الرسول (ﷺ) الانتقال من بيت زوجته خديجة والمجيء للعيش معهم في الشعب حيث منزل والده عبد الله، وهو المنزل الذي كان قد ولد فيه. كما طلب من بقية أفراد بني هاشم والمطلب الذين كانوا يعيشون خارج الشعب أن ينتقلوا للسكن معهم في الشعب.

ويبدو من مجمل الروايات التي تحدثت عن شعب أبي طالب أنه كان يتألف من عدد من الدور التي يحيط بها سور مشترك لذا فقد ترددت في الأخبار عبارات مثل عبارة "دخول الشعب" و"الخروج من الشعب" كثيرا. كما وردت عبارات أن المشركين كانوا يسمعون أصوات صبيان بني هاشم وبني المطلب يتضاغون من الجوع من وراء الشعب، حينما شدد المشركون عليهم الخناق في أثناء المقاطعة، وإن مما يؤكد ما تقدم ما ذكره ياقوت من أن

الشعب "كان لعبد المطلب، فقسم بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي (ﷺ) أخذ حظ أبيه، وهو أي الشعب - كان منزل بني هاشم ومساكنهم".

وتجمع المصادر التاريخية على أن فترة المقاطعة كانت فترة شديدة على بني هاشم وبني المطلب، وذلك لأن قريشا قد حاولت أن تقطع عنهم كافة منافذ النشاط التجاري، وإن تمنع عنهم سبيل المساعدة من أجل حملهم على التخلي عن حماية الرسول (ﷺ) يقول عروة بن الزبير "فلبثوا في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم فيهن البلاء والجهد، وقطعوا عليهم الأسواق، فلا يتركون طعاما يدنوا من مكة، ولا بيعا إلا بادروا إليه، ليقتلهم الجوع يريدون أن يتناولوا بذلك سفك دم رسول الله (ﷺ)" . ويذكر ابن إسحاق: "أن قريشا قطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم. وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق يشترونها ويغلونها عليهم. ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل وجد نموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه... ومن لم يكن عنده فليشتر وعلى النقد" .

يتضح مما تقدم، إن قسوة المقاطعة وشدتها قد أضرت ببني هاشم وبني المطلب، وجعلت ما لديهم من مؤونة ينفد، وأخذت آثار الحاجة والجوع تظهر عليهم فبلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب. لذا فقد حاول أبو طالب أن يجد بعض المنافذ المقاومة آثار هذا الحصار الاقتصادي فقد ذكر "أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان يخرج ليلا من الشعب، ويخفي نفسه، ويضائل شخصه، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عدي وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره، لو ظفروا به لأراقوا دمه".

وقد حاول بنو هاشم وبنو المطلب أن يستغلوا فرصة الحرية في الحركة والتعامل التي تتيحها لهم الأشهر الحرم، تعمدوا إلى الاتصال بأبناء القبائل العربية الذين يغدون إلى مكة في موسم الحج للمتاجرة معهم، وعلى الرغم من أن زعماء المشركين في مكة كانوا يراقبونهم ويحاولون الدخول معهم في مضاربات يهدف منعهم من عقد أية صفقة ناجحة، إلا أن ذلك لا يمكن أن يمنعهم بصورة تامة من المتاجرة والحصول على بعض احتياجاتهم من السوق. وقد قدمت لنا المصادر بعض الأخبار عن محاولات بعض رجالات قريش تقديم

المساعدة للمحصورين في الشعب. فقد ذكر ابن إسحاق أن هشام بن عمرو بن ربيعة، وكان ذا شرف في قومه وتربطه صلات قرابة ببني هاشم يأتي بالبعير ليلا، وقد أوقره طعامًا "حتى إذا أقبله في الشعب حلى خطامه من رأسه، ثم ضرب جنبه، فدخل الشعب عليهم، ويأتي به، وقد أوقره برا وبرا، فيفعل به مثل ذلك ". كما ذكر أن حكيم بن حزام خرج يوما، ومعه إنسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله (ﷺ) ومعه في الشعب، إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد، تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟ فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البختري بساق البعير فشجه ووطأه وطئا شديدا. وحمزة بن عبد المطلب قريبا يرى ذلك، وهم - أي المشركون - يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) وأصحابه فيشمتوا بهم .

ويلاحظ أن المصادر التي بين أيدينا لم تقدم لنا أية معلومات عن قيام المسلمين الذي لم تشملهم المقاطعة بتقديم أية مساعدة للمسلمين المحاصرين في الشعب وعلى رأسهم الرسول (ﷺ) ، على خلاف ما هو متوقع منهم الأمر الذي يدل على أنهم كانوا في وضع صعب لا يسمح بأي تحرك في هذا الاتجاه، وإن ما يعزز هذا الافتراض أن معظم المسلمين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة خلال فترة المقاطعة، ولم يبق منهم في مكة إلا حوالي أربعين فردا ما بين رجال ونساء، كما أن المشركين كانوا بعد اتخاذ قرار المقاطعة قد "اعدوا على من أسلم، فأوثقوهم وآذوهم واشند البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا زلزالا شديدا ".

وهكذا فقد كان الرسول (ﷺ) والمسلمون وكل من وقف إلى جانبهم يعيشون في محنة قاسية طوال فترة المقاطعة التي امتدت حوالي الثلاث سنوات، وعلى كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهل منع ذلك رسول الله (ﷺ) من مواصلة طريقه في الدعوة إلى الإسلام، ونشر مبادئه بين الناس.